الأخوة في الله

إعداد
القسم العلمي بدار ابن خزيمة

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن من أجل النعم التي أنعم الله بها على المؤمنين، أن جعلـــهم إخوة مؤلفة قلوبهم، مجندة أرواحهم، متماسكة أواصـــرهم، يحـــن غنيهم على فقيرهم، ويرحم كبيرهم صغيرهم، وقويهم ضـــعيفهم، يشد بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص. قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنْفَقْتَ مَـــا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٦٣] وقال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّـــهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح: ٢٩].

فالأخوة الإيمانية منة من الله وعطاء، وهبة يمتن بهـــا الله علـــى الصالحين الأتقياء، ونسمة خير يخلقهـــا الله في أفئـــدة المـــؤمنين، فتكسوها المودة والصفاء، وتمر ببرد وسلام تلامس أغلفة القلـــوب فتوقظها يقظة لا تنام بعدها أبداً.

وإذا استيقظت القلوب بنسمات الخير، فلا خوف عليهـــا ولا حزن، ولا غل يسكنها ولا ضغن، فلا ترى إلا وثابة سباقة للصحبة والإخاء، ولوعة تواقة للتراحم والتقاء؛ لذلك كانت المحبـــة بـــين المؤمنين نعمة لا تعدلها زبالة الدنيا وأوحالها، فهي أسمى وأعلا مـــن

سفول الطين؛ لأنها تمازج الروح وتسكن عشه فهي دائمة الترقـي عن سفاسف الدنيا، ملازمة الصعود نحو بيتها العتيـق في ظـلال الجنان.

فالمحبة في الله خصلة يغبط عليها أهلها يوم القيامة، ولم يكـن قدرها كذلك إلا لأن أجرها عند الله عظيم، وثوابها جزيل كـريم، فعن معاذ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قـال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نـور يغـبطهم النبيون والشهداء**»[1].

فالأنبياء والشهداء هم أهل الله وخاصته، فلا أحد من البشـر أبلى مثل بلائهم في ذات الله جل وعلا، وعلـى جلالـة قـدرهم وعظيم ثوابهم يوم القيامة، تقع في قلوبهم غبطة المتحـابين في الله. وهذا يدل دلالة قاطعة على عظم هذه النعمة وثقـل وزنها يـوم القيامة.

وهذا الكتاب على صغر حجمه يشمل على مهمات مبـادئ الأخوة الإسلامية، ويوضح معالم الطريق وركائزه نحو تكوين مجتمع إسلامي تسوده المودة والإخاء والصفاء والنقاء.

والله ولي التوفيق.

---

(1) رواه الترمذي (٢٣٩١) وقال: حديث حسن صحيح.

لماذا الأخوة؟

١- الأخوة في الله من لوازم الإيمان:

إن المتأمل في طبيعة هذا الدين، ليدلك بنظرة متمعنة في قواعده العامة وأصوله العريضة، أنه دين رحمه وهدايـــة، ومنـــهج حيـــاة وسعادة، ورسالة تدعو الإنسان إلى المودة والصـــفاء، والتـــراحم والإخاء، والتعاون والعطاء.

فلقد رسم العلاقات الفردية بين الناس رسما يحفظ لهم حقوقهم جميعا، فبين طبيعة علاقة المؤمن بالمؤمن، وعلاقة المؤمن بالكافر، وما للزوجة على زوجها من حق، وما للزوج على زوجه من حق، وما للوالدين على مولودهما من حق، وما للولد على والديه من حـــق، وبين حقوق الأقارب على بعضهم البعض، وحقوق الـــولاة علـــى الرعية، وحقوق الرعية على الولاة... إلى غير ذلـــك مـــن صـــور العلاقات الفردية والدولية التي جاء بها هدي الإسلام؛ لتكون نبراس عيش رغيد، ومنهج حياة سعيدة.

ومن أجل ما بينه الله سبحانه وتعالى من تلـــك العلاقـــات.. الأخوة الإيمانية، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجـــرات: ١٠] ويدل هذا التوجيه الرباني الكريم على أن هناك ترابط وثيق بين حقيقتين اثنتين:

الحقيقة الأولى هي الإيمان، و**الحقيقة الثانية** هي الأخوة.

فكلما وجدت حقيقة الإيمان، وجدت معها بالضرورة حقيقـــة

الأخوة، فكانت الأخوة بذلك الأخوة بين المؤمنين لازما من لوازم الإيمان، ومظهرا من مظاهر توحيد القلوب على حقـــائق الإيمـــان مبادئ العقيدة.

فالأخوة الإيمانية هي ثمرة وحدة الدين والعقيدة، فهي أســـاس المحبة والولاء، وأساس النصـــرة والجهـــاد لـــذلك قـــال تعـــالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] وتتفاوت صور الولاء للمؤمنين بحسب تفاوت إيمانهم بالله سبحانه، ومحبتهم له وطاعتهم وولائهم.

وتظهر صور الولاء في شتى النواحي الاجتماعية والمعـــاملات الأخلاقية بين المسلمين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَـــنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَـــلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٩-١٠].

فبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات، أن الصحبة والتكافل بين المؤمنين أساس فلاحهم في الدنيا والآخرة، وأن من لوازم الإيمان اجتثاث الغل والبغض للمؤمنين من القلوب والاستعانة على ذلـــك بالدعاء، ويشمل الاجتثاث عموم الغل، يصدق على قليله وكثيره، لأن الله سبحانه وتعالى أتى بكلمة "**غلا**" نكرة في ســـياق النفـــي،

فدلت بذلك على عمومه، ويلاحظ في قوله تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ العموم فيشمل أهل الإيمان جميعا على اختلاف أجناسهم وطبقاهم وبلداهم وأحسابهم وأنسابهم. ليعلم المسلمون طـوال التـاريخ أن الأخوة إنما أساسها الإيمان بالله وحده، وأن حقيقتها المحبـة والـود والولاء للمؤمنين وما يلزم ذلك من الأخلاق الفاضلة والمعـاملات الحسنة والآداب السامية النقية.

حـــــب في الله يوحــــــدنا
ويواســـــي القاصـــــي والــــــداني
إخــــــواني تلقـــــاني فــــــيهم
وبقلــــــبي تلقـــــى إخــــــواني

فهل أدركت أخي الكريم لماذا كانت الدعوة إلى الأخوة في الله مطلبا حثيثا في حياة المسلمين؟ إنها أمر إلهي قضاه وارتضاه لعبـاده المؤمنين، ليكون رمز وحدهم واتحادهم على الحق، وليكون عونـا لهم على مغالبة أهل الباطل، وليكون مشعلهم على درب السـعاة والهناء في الحياة، إنها عبادة وقوة وحياة.

فالأخوة في الله من أجل العبادات، وأسهل الطرق إلى الجنة، بل هي شرط الإيمان كما قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تـدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شـيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[1] ونجاة يوم العـرض على الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ:

---

(1) رواه مسلم (٥٤).

«**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجــلالي؟ اليــوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[١].

والأخوة في الله قوة، لأنها اجتماع على الحق، واتحاد على نصرة الله وشرعه والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وتآزر وتعاون على البر والتقوى، وتكافل بين المؤمنين وتراحم بينهم في كافة شــؤون حياتهم. قال تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَــوْا بِالصَّــبْرِ**﴾ [العصر: ١-٣] وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن الــنبي ﷺ قال: «**المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس**»[٢].

والأخوة في الله حياة، لأنها تجمع المؤمنين على أساس الصــحبة والمودة، والرفق والحلم، والصفاء والحياء، والتواضع والتناصح، ولين الجانب وخفض الجناح، وغيرها من صور معالي الأخلاق والقــيم، ومعالم السعادة في الحياة، قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمــه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يــوم القيامــة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»[٣] بــل إن الله ســبحانه وتعالى، جعل من أحب الأعمال إليه ما كان فيه نفــع لإخوانــه المسلمين. قال ﷺ: «**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهــم للنــاس،**

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٦).
(٢) صحيح الجامع (٦٦٥٩).
(٣) رواه مسلم (٢٥٨٠).

وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد[1] شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام، وأن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[2].

فهذا الحديث قَعَّد بأوجز الألفاظ معالم الأخوة في الله، وأصل خطوطها في حياة المسلمين، وبين آدابها وفضائلها السامية.

ولما كانت الأخوة لازما من لوازم الإيمان، كان واجبا على المسلم أن يخص المؤمنين بالمحبة دون الكافرين. قال تعالى: **﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾** [آل عمران: ٢٨] وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾** [النساء: ١٤٤] وقال تعالى: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾** [الفتح: ٢٩].

---

(١) أي: المسجد النبوي.

(٢) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٠٦).

فكما أن الحب في الله من لوازم الإيمان، فإن البغض في الله من لوازمه ومقتضياته، والبغض المطلق إنما يخص به الكفار والمشركون؛ لأنهم ليسوا من أهل الإيمان.

٢- مخاطر الفرقة والاختلاف:

واعلم أخي الكريم أن الشر كل الشر في الاختلاف والفرقـــة، وفي الصراع والنزاع بين الأحبة والإخوان.

فالاختلاف المذموم في الشرع أساس كل فشل وهلاك، وأساس كل إحباط ودمار، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَـلُوا وَتَـذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [الأنفال: ٤٦] ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًـا وَلَـا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُـوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالفرقة والنزاع داء فتاك بجسم الأمة الإسلامية، وما الانحطاط والتدني الذي تمر به ديار العالم الإسلامي اليوم إلا عاقبة معجلة من عواقب التمزق الوخيمة!!

ومن مخاطر الفرقة والاختلاف:

١- فشو التقاطع والتدابر والتباغض بين المسلمين: فإذا فشـا بين صفوف المسلمين هذا الداء الخطير، غابت روح المودة والرحمة بين أفراد المجتمع وسادت العداوات والحروب سـواء باللسـان أو السلاح، وانتشر الحقد، والحسد، والغيبة، والنميمـة، والخـداع،

والمكر، والقتل، والغدر، وكل أصول الأخلاق الذميمة الناتجة عـــن الغضب الذي يحدث من جراء الاختلاف والشقاق.

لذلك، فقد حذر رسول الله ﷺ المسلمين تحذيرا بليغا أكيدا من التدابر والتباغض فقال ﷺ: «**لا تباغضـــوا، ولا تحاســـدوا، ولا تدابروا ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»[١].

٢- غياب روح الأخوة والمودة: وهو خلاف ما هدف إليـــه الإسلام، من جمع شتات الناس على الهدى والتقوى والمحبـــة في الله تعالى، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال تعالى: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَـــى الْكَـــافِرِينَ**﴾ [المائدة: ٥٤] وقال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح: ٢٩].

ولذلك فقد حذر رسول الله ﷺ من التشاحن بين المســـلمين، وبين أن الله جل وعلا يغفر كل يوم اثنين وخميس لمن لا يشرك بالله شيئا إلا المتشاحنين فإنهما يؤخران حتى يصطلحا، فعن أبي هريـــرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تفتح أبواب الجنـــة يـــوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شـــيئاً، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حـــتى يصطلحا! أنظروا هذين حتى يصطلحا**»[٢].

---

(١) رواه البخاري ١٠/٤٠١ ومسلم (٢٥٥٩).
(٢) رواه مسلم (٢٥٦٥).

وفي الحديث بيان مهم لمخاطر الفرقة والنزاع، وأي خطر بعد الحرمان من المغفرة والجنة، فلو لم يكن من أخطار الفرقة إلا هـذا الحرمان لكان ذلك كافيا بل رادعا لكل معرض عن أخيه، أن يأتيه ويطلب صفحه وعفوه وسماحه ولو كان هو المخطئ الظالم، طلبا لمغفرة الله ورضوانه وجناته.

٣- ومن أخطر عواقب الفرقة؛ أنها تُقَعِّس المرء عن أداء حقوق إخوانه، فإن للمسلم على المسلم حقوقا لا بد من إنجازها والقيام بها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله** –ويشير إلى صدره ثلاث مرات– **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**»[2].

وفي رواية لمسلم: «**حق المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد**

---

(1) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(2) رواه البخاري ٩٠/٣ ومسلم (٢١٦٢).

الله، فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»[١].

فالفرقة بين المسلمين تجعلهم يتهاضمون بينهم هذه الحقوق، بل يقع فيها الظلم في الأموال والدماء والأعراض، نســأل الله العفــو والعافية.

لذلك أخي الكريم، كن حذرًا أن تحيد عن إخوانــك، أو أن تكون سببا في فرقتهم واختلافهم بل يجب عليك أن تكون قدوة في نفسك مصلحا لغيرك، حريصا على جمع كلمة المسلمين على الحق. قال تعالى: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَــدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [النساء: ١١٤] وعن أم كلثــوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمــي خــيراً أو يقول خيراً**»[٢].

فاحرص أخي أن تكون سباقاً لهذا الخير الكريم، واجمع إخوانك على البر والتقوى، وعلى التعاون على ما فيه خير الدنيا والآخــرة، فإن المسلمين أحوج اليوم من غيرهم إلى الاتحاد والتآزر، والتعــاون والتآخي، والتراحم والتزاور، حتى يكونــوا شــوكة في حلاقــم أعدائهم.

تــأبى الرمــاح إذا اجــتمعن تكســرا
وإذا افتـــرقن تكســـرت آحـــادا

---

(١) برقم (٢١٦٢).
(٢) رواه البخاري ٥/٢٢٠ ومسلم (٢٦٠٥).

وما نراه من تفرق المسلمين واختلافهم، مـــرض تتفطـــر لـــه القلوب وتتحسر له النفوس، وتدمع له العيون، فما أحق الإســـلام وأقواه، وما أضعف المسلمين اليوم أمام أعدائهم.

الثُّكْـــلَ جُـــرِّع غمـــركم فتمزقـــت
أشـــلاؤه أم أنـــتم الثكـــل انـــبرى؟!!
قم أيهـــا الجلمـــود وانظـــر كـــي تـــرى
آبـــاء جهـــل قتلـــوا مـــن كـــبر!
اســـتغفر الـــرحمن إنـــك لم تمـــت
نحـــن المـــوات ورمســـنا فـــوق الثـــرى

خاتمـــة

أخي الكريم: اعلم أن الأخوة الإيمانية بين المسلمين، هي دليل الإيمان والتوحيد، وعنوان توحد القلوب على عبـــادة الله وحـــده، ونصرة دينه، والعمل بأمره، واجتناب نهيه.

وهذه الأخوة لا حدود لها في الآفــاق، فهـــي باقيـــة بقـــاء السماوات والأرض، وخالدة خلود المؤمنين في الجنان، قال تعـــالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وقد جعلها رسول الله ﷺ شرطا لـــدخول الجنـــان. فقـــال: **«والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنـــوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشـــوا السلام بينكم»**(١).

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم (٥٤).